

سيد درويش فنان الشعب



هذا فنان يعرفه كل المصريين ٠٠ لان واحدا من أشهر أعماله الموسيقية أصبح رمزاً وطنياً يحترمه كل فرد في مصر.

لعل حديثي يثير دهشة صديقي القارئ ٠٠ لكن هذه هي الحقيقة ٠٠ فمن منا لا يستمع للسلام الوطني مرة على الأقل في كل يوم ٠٠ فنحن نسمعه في الصباح عند بداية اليوم الدراسي ، ونسمعه مع بداية الإرسال التلفزيوني وعند نهايته ٠٠ وكذلك الإرسال الإذاعي الذي يبدأ بالسلام الوطني وينتهي به ٠٠

وعند عرض أى استقبال رسمي في أثناء نشرة الأخبار فإن السلام الوطني يعزف مع السلام الوطني لدولة الضيف الذي نستقبله ويشمل السلام الوطني المصري نصاً موسيقياً ونصاً شعرياً نرده عند سماع الموسيقى .

فمن منا لم يردد ٠٠

لك حبي وفؤادي	بلادي بلادي بلادي
أنت غايتي والمراد	مصر يا أم البلاد
كم لنيلك من أيادي	وعلى كل العباد

وصاحب هذا اللحن الجميل هو (الفنان السيد درويش) * الذي غادر حياتنا في الخامس عشر من سبتمبر عام ١٩٢٣ ٠٠ ورغم مضي عشرات السنوات على رحليه فإنه مازال يحيا بيننا من خلال أعماله المصرية الصادقة الجميلة .

وحتى لا يأخذنا الحديث في تفرجات وتشعبات فإننا سنبدأ القصة من أولها ٠٠ قصة فنان الشعب السيد درويش .

أشار الفنان عبد الحميد توفيق ذكي في كتابه عن سيد درويش والصادر عن دار المعارف عدة وثائق تشير الى أن الاسم الصحيح لفنان الشعب هو (السيد درويش) باضا فه الإلف واللام .

البيـلاد

مساء الثلاثاء ١٦ مارس ١٨٩٢

جمع المعلم درويش البحر بضاعته التي يعرضها على جانب الطريق ثم لملم أخشابه ووضع عدته جانبا قبل أن يغلق ورشته الصغيرة بشارع (علوه الحكيم) .

وفى طريقه إلى منزله الذي يقع في شارع (سوق كوم الدكة) مر بالمقهى حيث اعتاد ان يجتمع مع رفاقه من أهل الحي (حي كوم الدكة) . . أحد أحياء الإسكندرية القديمة .

كانت الإسكندرية مازالت تعيش ذكريات وقفه الجيش المصري البطولية ضد القوات الانجليزية التي هاجمت مصر لاحتلالها وكانت أطلال طابية (كوم الدكة) مازالت تطل على الحي الشعبي الفقير وقد احتلتها القوات الأجنبية لتذكر الأهالي بهذه الكارثة التي تعيشها البلاد .

كان أهالي كوم الدكة يحمدون الله على أن جنود الجيش الانجليزي لا يتجولون في طرقات حيهم . . فهو حي فقير حواريه ضيقة وحوائيته وورشه بسيطة ليس فيها ما يغرى بالنهب ولا بالعريضة إلا أن الألم كان يعتصر هؤلاء المصريين ويملا الحزن قلوبهم من أجل وطنهم الذي احتله الجنود الإنجليز . .

قضى (المعلم درويش البحر) بعض الوقت في المقهى يتسامر مع رفاقه ويتذكر ما حاق بالبلاد من احتلال وخراب ثم تعجل في الانصراف إلى منزله هذه الليلة مبكرا عن مواعده في باقي الليالي . . فهو يعلم أن زوجته توشك أن تضع حملها . .

صباح الأربعاء ١٧ مارس ١٨٩٢

كان ضوء النهار يتسلل من فتحات النوافذ القديمة فينبه النائمين أن يوما جديدا قد بدأ . .

وبينما يحاول البعض أن يقتنع بعض دقائق أخرى من النوم كان صوت الشارع يجبر الجميع على ترك الفراش . . فهي هو باع الفصول ينادى على بضاعته وسط أصوات الصغار الذين يحملون أطباقهم يسألونه أن يزيد بعض الزيت أو الملح فوق ما أخذوه . .

أما راحة قلى (الطعمية) فقد وصلت إلى وصلت إلى أنوف هؤلاء النائمين تنادى أكلبها قبل أن تسرق نساتهم الصباح سخونتها اللذيذة .

وسط هذا كانت ترتفع عبارات التحية ودعاء الرزق الواسع يتبادلها الرجال عندما يتقابلون كل في طريقه إلى عمله . مضت الساعات المبكرة من هذا الصباح لتخلو البيوت من رجالها فقد قصد كل منهم (وجه الكريم) كما خلت من الأطفال التلاميذ الذين حملوا كراريسهم . . بعضهم في طريقه إلى المدرسة القريبة من الحي . . والبعض الآخر إلى كتاب (حسن حلوة) .

وبعد أن اطمأنت ربات البيوت إلى أن الأزواج والأبناء قد خرجوا كل حال سبيله بدأ في أنجاز ما تحتاجه منازلهم من عجين وخبيز وغسيل وتنظيف وطهي كما خرج البعض منهن إلى السوق يبتعن ما يلزم الأسرة .

كان هذا هو الحال كل صباح في بيوت حي كوم الدكة . . أحد أحياء الإسكندرية القديمة .

وكان هذا الحي يشغل ربه ترتفع عما حولها فتعزله نسبيا عن باقي الأحياء كم تؤكد على بساطه أهله ورقة حالهم . . كانت الشوارع ضيقة ومتعرجة . . والبيوت صغيره وبسيطة ومتقاربة لا يزيد ارتفاعها عن ثلاثة طوابق .

.....
.....

مع ساعات النهار الأولى فتحت كل المجال والدكاكين أبوابها وسارع التجار والصناع إلى كنس المكان المحيط بها ورشه بالماء استعدادا ليوم جديد من العمل . . . إلا دكان راح في شارع (علوه حكيم) فقد لاحظ جيرانه أن صاحبه (المعلم درويش البحر) لم يأت مبكرا كعادته . . . كان (المعلم درويش البحر) نجارا بسيطا يصنع لأهالي الحي بعض الأثاث السذي يطلبونه كما كان ماهرا في إصلاح ما ينكسر أو يتلف من هذه القطع التي يحرص أصحابها على استعماله لأطول مدة ممكنه .

سأل أحد الجـيران عن سبب تأخر (المعلم درويش البحر) فـعرف انه ينتظر اليوم مولودا جديدا . . . وانه قد غادر المقهى ليلة أمس مبكرا بسبب قلقه على زوجته . . .

كان البيت البسيط الذي يسكنه (المعلم درويش) يعج بالحركة منذ ساعات النهار المبكرة فقد تجمعت الجارات مع (الست ملوك) يرددن الدعاء لله (ينتعها بالسلامة) بينما جلس (المعلم درويش) وحده بالقرب من الشرفة يتطلع إلى القضاء ويناجي الله بلغة خاصة . . . لم ينطبق لسانه بحرف واحد ولم تغب الابتسامة عن ملامحه وترك لقلبه مهمة المناجاة . . . كان قلقا من أجل زوجته يتمنى لها السلامة والعافية فهي سيدة صالحه هادنة مدبرة راضيه مطيعة.

وكان يطلب من الله (ولا يعز على الله طلب) أن يكون المولد صيبا . . . نعم فقد رزقه الله من قبل بنتا جميله أسماها فريدة وهو يتمنى أن يكون اليوم أبا لصبي .

وسط أفكاره هذه . . . اقتحمت عليه جلسته (الست فطومة الوردانية) (الدايه) *وهي تطلق زغرودة وصيح . . . مبروك (يا معلم درويش) . . . حالك ولد . . .

اتسعت ابتسامته (المعلم درويش) ورفع وجهه وقفية بالشكر لله ثم ضم يده على (نصف ريال) فضة وأعطاه للداية التي انطلقت تزغرد وتدعو للمولد بطول العمر والسعد وللأب بالرزق الواسع والصحة . . .

وعمت الفرحة أرجاء البيت البسيط ثم انتقلت إلى البيوت المجاورة وتوافد الجميع يهنئون (المعلم درويش البحر) على ما رزقه الله إلى أن ساله أحدهم .

وبماذا تسمى الصبي ???

واطرق الرجل وكأنه سمع سؤالا غريبا ثم رفع وجهه وقد علاه الشر وقال . . .

- (السيد) . . . (السيد درويش البحر) . . .

.....
.....
.....

هكذا كان ميلاد (السيد درويش) يوم الأربعاء ١٧ مارس ١٨٩٢ . . . في هذا البيت البسيط بشارع كوم الدكة بحي كوم الدكة هذا المولد الذي جاء إلى الحياة ليضع بصمه واضحة

على خريطة اللحن العربي والشرقي ?? ويضع ألعانا يردددها ملايين المصريين ???

* الدايسة سيده مدربه كانت تقوم بعملية توليد الأمهات في منازلهن

الكتاب والمدرسة

شب الطفل (السيد) بين أبويه وأخوته ٠٠ (فريدة) التي تكبره (وستوته) و(زينب) اللتين تصغرانه وكان السيد موضع رعاية وتدليلها ٠٠ كيف لا وهو الصبي الوحيد بين ثلاث بنات ٠٠

وكانت هذه - ومازلت - عادة البسطاء ٠٠ حيث يتميز الصبي دانما عن البيت ٠٠ فما بالك بالولد الوحيد وسط ثلاث بنات .
وما أن أتم (السيد) سنوات عمره الخمسة حتى ألحقه أبوه بكتاب (حسن حلاوة) القريب من منزلهم .

كانت الأم تستيقظ مبكرة ومبكرة ومعها بناتها فتعد الإفطار للصبي وأبيه ثم تحرص على إعطاء ابنها (السيد) بعض الطعام مخافة أن يجوع في أثناء النهار ٠٠

كان المعلم (درويش) يصحب ابنه إلى الكتاب ٠٠ فيمسك بيده ويسير مزهوا به حتى يصل إلى باب الكتاب ولا يتركه إلا مع (العريف) فيوصيه به خيراً قبل أن ينصرف إلى ورشه الصغيرة ٠٠

بعد انتهاء اليوم الدراسي كان (السيد) يذهب إلى ورشة أبيه الذي يسأله عما حفظ في يومه ٠٠

وكانت مفاجأة (للمعلم درويش) عندما وجد ابنه (السيد) شغوفا بحفظ الأغاني والأناشيد التي كان يلقنها إياها (سامي افتدى) .

كان (سامي افتدى) معلماً ظريفاً من معلمي الكتاب يحب الفن ويعشق الغناء وكان يتولى تحفيظ تلاميذه بعضها من هذه الأناشيد ٠٠ ولمح منذ اليوم الأول استعداد (السيد) لحفظ الأشعار وإجادة غنائها فعهد إليه بتحفيظ باقي رفاقه وتدريبهم ٠٠ رغم أنه كان أصغرهم سناً .

كان (المعلم درويش) يسأل ابنه عما حفظ من القرآن فيخبره الصغير بأنه حفظ سورة أو سورتين ٠٠ لكنه حفظ مجموعه من الأناشيد وأنه قام بتحفيظها لرفاقه وتدريبهم على أدائها .

فيسعد الأب بما يقوله ابنه وإن كانت ثقافته لا تساعد على فهم شيء من ذلك ٠٠ فقط كان يفرح بالصغير يردد ما حفظه وهو شيء لم يتعلمه الأب في طفولته ٠٠

وتدير الأقدار السعيدة ظهرها للطفل الصغير ويسرق الموت منه أباه في عام ١٨٩٩ وهو مازال ابن السابعة .

يبدو أن سنين الطفولة لا تجسد للصغار حجم ما يواجهون من مآسي ٠٠ وهذا لطف من الله ٠٠ فكيف نتصور حال الصغير وقد أدرك أن والده ومصدر الرزق الوحيد لهذه الأسرة قد رحل إلى غير عودة ٠٠ وسبحان مقسم الأعمار ٠٠ والأرزاق ٠٠

كانت (الست ملوك) والدة الطفل (السيد) وأرملة (المعلم درويش البحر) سيدة قوية الأيمان ذات إرادة فصمتت على أن يواصل ابنها الصغير تعليمه حتى ينهي دراسته الأزهرية كما كان أبوه يتمنى ٠٠ نعم كانت أمنية الأب الراحل أن يرى ابنه واحد من علماء الدين ٠٠ يرتدى الزي وتحيطه الهيبة ويكون موضع احترام الجميع وتقديرهم ٠٠ وصمتت الأم على تواصل الرحلة مع ابنها (السيد) فنقلته من الكتاب إلى مدرسه (شمس المدارس) بحي رأس التين حيث تجمع المصادفة مرة أخرى بين الطفل (السيد) وبين (سامي افتدى) معلم الأناشيد في كتاب (حسن حلاوة) .

بالحال من مصادفة ٠٠ فقد كان وجود هذا المعلم الفنان ضرورة عند الفتى الذي اكتشف في نفسه عشق الألحان والأنغام ٠٠

فما هي نوعية هذه الأناشيد التي حفظها (السيد درويش) في هذه المرحلة من عمره ???

كانت هذه الأناشيد تعرف (بالسلامات) حيث أعدت كي يغنيها الأطفال في استقبال الحكام والكبراء وفي افتتاح الحفلات المدرسية ٠٠

ومن أشهر هذه المقطوعات (بلبل السعود الزاهر) و (حبذا عصر سعيد) وأنشودة

(يا مليكا بالسجاي الغرساد) التي تقول كلماتها ٠٠

بالعلا والعدل أرضيت البلاد
ورقيت الناس شر الظالمين
وليلاق الضد أنواع الهوان

يا مليكا بالسجاي الغرساد
جننا بالنصير والفتح المبين
فاغتنم صفو الليالي والزمان

أما مقطوعة يا مليكا حاز نصراً في الملا فتقول :

دم بسعد راقيا أوج العلا
رافلا في حلة العيش الرغيد

يا مليكا حاز نصراً في الملا
واقنتل من ربنا العمر المديد

ورغم رداة هذه الأشعار ورتابة موسيقاها . . . ألا أنها كانت فرصه عظيمة (للسيد درويش) كي يتقن فن الغناء ويعرف بعض أصول الموسيقى .

ومع هذا الرصيد من الأناشيد كان (للسيد درويش) رصيد آخر أعظم وهو ما حفظه من القرآن الكريم . . . فكان يجلس إلى رفاقه أو في الحفلات المدرسية فيتلو ما حفظه من آيات الذكر الحكيم مقلدا كبار المقرنين في هذا الوقت من أمثال الشيخ (أحمد ندا) والشيخ (إسماعيل سكر) والشيخ (حسن الأزهرى) إلى جانب أدوار الشيخ (سلامه حجازى) ابن الإسكندرية العبقري الذى كان قد شاع صيته انتشرت أغنياته بين الناس في القاهرة والإسكندرية.

وبمرور الوقت اتسعت دائرة الصبي الفنان فبدأ يرتاد الحفلات والموالد والسرادات حيث الغناء والتواشيح والمدائح وقراءة القرآن . . . ولم يكون (السيد درويش) على صغر سنه مجرد طفل يسمع ويلهو . . . بل كان فنانا صغيرا يسمع ويطرب ويسعى وتكتب الألحان في عقله وقلبه . . .

وتمضى حياه الصبي بين الدارسة فى مدرسه (شمس المدارس) وارتداد السرادات . . . لكن الحلم لم يغادر قلب أمه . . . الحلم الذى مات أبوه دون أن يحققه . . . الحلم بأن يرتدى (السيد) زى رجال العلم ويتلقى دروسه على يد رجال الأزهر الشريف حتى يصبح واحدا منهم ورغم ضيق ذات اليد وكثرة المسئوليات فان الأم أصرت على تحقيق حلمها .

وفى عام ١٩٠٥ وقد بلغ الفتى الثالثة عشرة من عمره نراه وقد ارتدى الجبة والعمة واتجه مع رفاقه إلى المعهد الديني بالإسكندرية فى مسجد أبى العباس المرسى .

ويجلس (السيد) وسط رفاقه يستمع إلى دروس النحو والفقه والشريعة والتاريخ . . . يحب العلم نعم . . . لكنه يهوى الفن ويعشق الموسيقى والغناء .

وينجح الشيخ (السيد درويش) وينتقل إلى الصف الثانى فى مسجد الشوربجى .

وفى هذا العام يتحقق (للسيد) جزء من أمنيته . . . فها هو يرفع الأذان فى موعد كل صلاه من فوق مأذنه هذا المسجد . . . انه شكل من أشكال الموسيقى . . . فالأذان يقتضى ضبطا وتجويدا وتنغيماً خاصا .

ويشدد عود الفتى ويبدأ فى البحث عن مورد رزق يساعد به أمه على نفقات الحياه . . .

فيتجه إلى السرادات والموالد والأفراح حيث يقرأ القرآن وينشد المدائح والابتهالات ويتلقى فى نهاية السهرة قروشاً قليلة . . . لكنها (نوابه تسند الزير) .

لم تكن الأم راضية عن هذا . . . فهي تتمنى أن يتم ابنها تعليمه الديني مهما كلفها هذا من تضحيات . . . فى نفس الوقت كان سلطان الفن قويا على نفس الفتى . . . وحاول أن يمسك بالعصا من وسطها . . .

* المتون جمع متن . . . وهو النص

فنان فوق السفالة

ماذا يصنع الفتى ؟؟؟ لقد فشل في إتمام دراسته الأزهرية أو في الوصول حتى إلى مستوى له بالفوز بأي وظيفة متواضعة . . .
وها هو يتعلق بالفن والغناء لكنه لا يستطيع إلا أن يحصل على قروش قليلة نظير بعض التواشيح والمدائح التي لها أحيانا فرصة في الأفراح والموالد .

ولم يكن هذا كافيا خاصة وأنه قد تزوج في هذه الفترة ولم يبلغ السادسة عشر من عمره فأصبح مسنولا عن زوجته مع أمه وإخوته البنات .

ثم اتجه الشيخ سيد إلى مهنة أخرى لا علاقة لها بالموسيقى والغناء ولا بالعلم ولا قراءة القرآن وترديد التواشيح . . . فقد عمل مساعدا لعامل طلاء يطلى جدران الأبنية .

كيف يحدث هذا ؟؟؟ كيف يخلع الشاب الفنان العمدة والجبة والقفطان ويستبدلها بجلباب رث يتناسب وما يحمله من رمل وجبير.

ورغم حرارة الجو وقسوة العمل وخشونته فق انطلق (السيد درويش) يغنى . . . نعم كان يغنى هذه الأهازيج الخفيفة التي اعتاد العمال ترديدها أثناء العمل فتهون عليهم مشقة العمل .

ولما رأى رئيس العمال تأثير الغناء على انجاز العمل . . . اعفى (السيد درويش) من حمل المونة ونقل الرمال وفرغه للغناء وكان يقف وسط العمال ليغنى فيشعل حماسهم لهذا العمل . . . لكن شينا آخر في نفسه الفنساتة كان يتحرك فيحرك الهموم في قلبه . . . كان يسأل نفسه دائما . . .

هل هذا هو مكاني المناسب ؟؟؟؟

إلى الشام . . بالصدفة

لابد أن نؤمن بأن المصادفة تغير كثيرا من أحداث حياتنا . . . وهذا لا يعني أن ننتظر المصادفات لحل مشاكلنا وإنقاذنا من مأزقنا . . . فهذا أمر غير منطقي .

لكن الإنسان الذكي هو الذي لا يرفض المصادفة الجيدة ويستثمرها ويجعل منها بابا يدخل به إلى عالم جديد يثري حياته ويجدد موهبته وهذا هو ما حدث مع (السيد درويش) .

كان هذا في أحد الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر عام ١٩٠٨ . . . كانت الشمس ساطعة لكنها لم تقدر على منح سخونتها للهواء البارد القادم من جهة البحر ليداعب أكوام الرمل والجير بينما كان العمال يخلطون (المونة) ويسيرونها في حذر فوق (السفالات) وهم يرددون وراء (الشيخ سيد) غناؤه التقليدي الذي اكتسب جمالا خاصا مع صوته الذي يمتلك حبا للفن . . . هيل هيل . . . الله يهون . . . هيل هيل . . . الله يعين .

على المقهى الصغير المقابل للبناء الذي كان يجارى فيه العمل . . . جلس شاب من أبناء (الشام) * اسمه أمين عطا الله. أستمتع أمين إلى (السيد) واستوقفه الحس الفني المتميز الذي يتمتع به هذا المغنى، فأسرع باستدعاء شقيقة (سليم عطا الله) الذي كان يدير فرقة للتمثيل والغناء واستمع الأخوان إلى غناء (السيد درويش) ثم اتجها إليه يعرضان عليه أن يسافر معهما للعمل كمطرب في فرقتهما الفنية ولما لا ؟؟ . . . هكذا قال (السيد درويش) لنفسه . . . إنها فرصة للعمل ولزيارة بلاد جديدة ولقاء أشخاص جدد قد أتعلم منهم شيئا مفيدا . . .

وهي على أي حال أحسن من عمله في مهنة (المعمار) أو الغناء في المقاهي والبارات والمحال المشبوهة من أجل قروش قليلة . . . أسرع (الشيخ سيد) إلى منزله وجمع متعلقاته البسيطة وترك لأمه المبلغ الزهيد الذي تتقاضاه من (الإخوان عطا الله) كي تدبر به حياة الأسرة لحين عودته . . . دخل (السيد) إلى زوجته يودعها فوجدها تعاني آلام المخاض . . . إنها تنتظر طفلها البكر . . .

شعر (السيد) بالحيرة فماذا هو صانع . . . هل يبقى إلى جوار زوجته ليطمأن عليها ويترك هذه الفرصة تضيع من بين يديه . أم يسافر - على بركة الله - ويترك لأمه وشقيقاته مهمة رعاية الزوجة حتى تضع حملها ؟
وجد (السيد) أن الخيار الثاني هو الأنسب . . . فهذه فرصة لن تعوض ليسافر ويرى بلادا جديدة ويعمل ويغنى ويكسب مالا ربما أغناه عن المعاناة التي يجباها . . .
اتجه إلى أمه وقبل يدها وسألها الدعاء . . . وأوصاها أن تسمى المولود (محمد) إذا كان ذكرا . . .

وأدار (السيد) وجهه سريعا حتى لا يلمح أحد الدموع التي ملأت عينيه وهو يسرع الخطوات إلى حيث موعده مع (أولاد عطا الله) .

* الشام هي المنطقة التي تضم الآن سوريا ولبنان والأردن وفلسطين

التجربة والرسائل

مضت شهور تسعة .. أرسل فيها (السيد) إلى أسرته عدة رسائل .. لكنها لم تكن رسائل تحمل السعادة .. ففى كل مرة كان يشكو من ضيق اليد وفشل التجربة .. فهو مازال صغير السن وتجربته الفنية لم تنضج بعد كما أن صوته ليس من أصوات الطرب الذي يعشقه أهل الشام .

رسالة واحدة حملت يوماً بعض الفرحة للأسرة التي تنتظر عودة ابنها إلى الإسكندرية .. فى هذه الرسالة حكى (السيد) كيف التقى بموسيقار عظيم اسمه (عثمان الموصلي) وأنه حفظ معه عدداً من التواشيح والأدوار القديمة .

(انه فنان عظيم يا أمى يعزف على العود ويعنى الأدوار والموشحات .. وفوق هذا يعنى لونا جديداً لا نعرفه فى مصر اسمه (القدود الحلبية) .. انه لون من الغناء يعرفه أهل (حلب) وهى مدينة جميلة من مدن الشام ..

وتطوى الأم الرسالة بعد الأخرى .. تقبل ورقها وتبليها بالدموع .. إنها تفتقد ابنها كثيراً لكنها لا تملك إلا شيئا واحداً .. لكلمة تذكّرتة - وهى لا تنساه أبداً - ترفع كفيها للسماء بالدعاء (يارب يوفك يا بنى وترجع بالسلامة)

كان الصغير محمد قد أكمل شهور عمره التسعة وبدأ يحب ويملا البيت بصراخه المحبب لكل أهله الذين كان يعز عليهم انه لم ير أباه .. وان أباه لم يره حتى الآن .

كانت (الست ملوك) تحمل حفيدها الصغير (محمد) وتظل من شرفتها .. اذا بهما تلمح ساعى البريد يتجه الى بيتها .. نادى بناتها ان يسرن ليسانته عما يحمل من رسائل ..

ما هى إلا لحظات حتى كانت أصوات الفرحة تعم البيت .. جواب من (السيد) .. جواب من (السيد) ..

بينما جرت إحدى البنات الى بيت الشيخ (مفرح محمود الرملى) تدعوه لى تأتى ليقرأ لهم (جواب السيد) ..

وقبل أن ينتهى الرجل من قراءة الرسالة كانت الأم قد انخرطت فى بكاء حار ..

- من أين .. من أين لى بنفقات عودتك يا بنى ؟؟؟ لقد رحلت عنا منذ تسعة أشهر وتركنا دون مساعدة تذكر .. وهذه امراتك قد وضعت فزاد على عبء النفقات وكنا نمنى أنفسنا بعودتك لتعوضنا عما عانيناه فى غيابك .. ماذا أفعل يا ربى ؟؟؟ كيف أدبر لك نفقات عودتك يا بنى ؟؟؟

وراحت (أم السيد) وحولها بناتها وزوجة ابنها يفكرون فيما أصابهن من كرب غير متوقع ..

واضطرت الأم أن تستدين كى ترسل إلى ولدها نفقات عودته .

وقبل أن ينتهى الشهر العاشر كا (السيد) قد عاد إلى أهله وبيته ..

لاشك أن (السيد درويش) كا، سعيدا بعودته إلى الإسكندرية والى بيته وأمه وزوجته وطفله .. لكنه كان حزينا لأنه لم يستطع أن يحقق أحلامهم وأحلامه .. فقد رجع خالى الوفاض .. لم يشتر حتى هدية صغيرة للطفل الذى ولد فر غيابه .

رحلة غير موفته

لماذا لم يوافق (الشيخ السيد درويش) فى هذه المرحلة ؟؟؟ سؤال لا بد أن يلح علينا إلى أن نجد له أجابه .

لقد سافر الفتى (السيد) وهو فى حوالى السابعة عشرة من عمرة ٠٠ وهى - بلا شك- سن صغيرة ٠٠ ولم يكن (للسيد) ثمة خبره فنية قبل سفره ٠٠ فقد كان كل تاريخه مجرد محاولات واجتهادات دون معلم ٠٠ كان يقلد المقرنين والمنشدين ٠٠ ليس له من عون إلا موهبته التى أعطته أدنا حساسة بالفطرة ٠٠ لكن أين التوجيه والتعليم والتربية الفنية ؟؟؟ هذه امور افتقدتها (السيد درويش) فى زحمة الفقر والحاجة التى كان يحياها ٠٠

شيء آخر ربما كان سببا فى إخفاق الفنان الصغير فر رحلته إلى الشام ٠٠ فقد كانت ذكريات رحلة العملاق (سلامة حجازى) مازالت تعيش فى ذاكره هذا الشعب الحساس انه الفنان المصرى السكندرى الذى بدأ حياته معمما مثل (السيد درويش) وكان ينشد الموالد والتواشيح الدينية إلى أن التقى (بأنطوان الخياط) الذى أعجب به وعرض عليه ان يعمل معه فى فرقته المسرحية بالقاهرة فكان يقدم وصلات غنائية بين فصول الروايات ٠٠٠

بعد أن وطد (سلامة حجازى) مكانه الفنى استقل بفرقه فنية خاصة به ٠٠ وفى عام ١٩٠٦ سافر (سلامة حجازى) إلى الشام حيث لقى نجاحا منقطع النظير .

ولم ينس أهل الشام (سلامة حجازى) ولا لئاليه العامرة بالأداء المسرحي القسوى ولا بالغناء المعجز فقد كان (حجازى) يمتلك صوتا قويا جميلا وكان قد جاوز وقت سمعه (أهل الشام) الرابعة والخمسين من العمر فأين (للسيد درويش) من كل هذه الخبرة وهذه القدرة الفنية والأداء ٠٠٠٠ أن ملكه (السيد درويش) وعبقريته تكمن فى إحساسه الموسيقى وقدرته على التلحين ٠٠٠ وحتى هذه لم تكن مكتملة وقت أن سافر إلى الشام لهذا فقد فشلت رحلته هذه ولم تحقق له أى نجاح مادي وان كانت قد أضافت إليه إضافة فنية هامة

.....
.....

شعر (السيد درويش) بالإحباط ٠٠ فها هو يفشل فى أن يقدم فنا يرضى عنه سامعوه ويعود عليه ببعض النفع المادى لكن شيئا فى داخله كان يقنعه دأما بأنه لم يفشل فى رحلته هذه ٠٠ كيف يكون فاشلا وقد أضاف إلى حصيلته الفنية زادا أصيلا وتعامل مع أناس جدد وزار بلاداً جديدة ٠٠

لكن من يقنعه بما اقتنع به (الشيخ السيد درويش) من كان يستطيع أن يفهم ما يدور فى نفس هذا الفنان وعقله وقلبه؟ وكان على الفتى الفنان أن يعمل فى الإسكندرية ٠٠ يعمل فى الإسكندرية ٠٠ يعمل فى أى وظيفة تحقق له دخلا ٠٠ مهما كان بسيطاً ٠٠ فتنتقل بين المقاهى يغنى هنا وهناك ويجمع قروشاً قليلة ٠٠ تعنيه على نفقات أسرته ٠٠

وفى ليله من هذه الليالى العابسة ٠٠ اكفهرت الدنيا أمام عينيه ورفضه كل أصحاب المقاهى فلم يجد أمامه إلا أحد البارات حيث غنى وسط السكرى والساقطات ٠٠ وكان مضطرا لهذا ٠٠ فهذه أسرته تطلب فى كل يوم نفقات جديدة ٠٠ وأنى له بهذه النفقات .

وتصل أبناء هذه السهرة إلى المعلم (رفاعى على) زوج شقيقته فيقسم (يمينا بالطلاق) الا يدخل (السيد) منزله إلا إذا اعتزل (كار المغنى) ويضطر الفنان البانس إلى الرضوخ ٠٠ ويعتزل المغنى ويعمل كاتباً فى ورشة النجارة التى يمتلكها زوج شقيقته . (فهذا عمل شريف لا يضطره إلى ارتياد البارات حيث السكرى والساقطات) ٠٠ كان قراراً قاسياً على فنان مثل (السيد درويش) ٠٠ فكيف يعتزل الفن ويهجر الغناء ويخاصم . العود ليجلس بلبدا وسط أكوام الخشب وقطع الأثاث ويكتب (ما يملى عليه) من أرقام وبيانات .

صراع حاد وقاس هذا الذي عاشه (السيد درويش) فهو مضطر لممارسة وظيفة لا يحبها ومجبر على ترك الفن الذي يجرى فى عروقه مجرى الدم والذي يشعر أنه يتخلل صدره مع هواء النفس .

الى الشام .. مرة ثانية

وتأتى الفرصة مرة ثانية ..

وتبتسم الأقدار للفنان المعذب فتعيد إليه فنه ..

نعم يعود (الشيخ السيد) وينضم إلى فرقة (سليم عطا الله) ويسافر معها إلى الشام مرة ثانية .

كان هذا فى عام ١٩١٢ وبعد حوالى عامين من عودته إلى الإسكندرية من رحلته الأولى (الفاشلة) إلى الشام .

فهل كانت هذه الرحلة الثانية مثل الرحلة الأولى ؟؟؟ هل قابل (السيد درويش) نفس العشرات .. ونفس الحظ السيئ

لا .. لم تكن هذه الرحلة الثانية فى عام ١٩١٢ مثل سابقتها التى بدأت فى عام ١٩٠٩ بل كانت شيئا مختلفا تماما .. كانت رحلة ناجحة بكل المقاييس .

فعلى المستوى الفنى جدد (الشيخ السيد) صلاته بالفنانين الكبار فى الشام أمثال (الشيخ عثمان الموصلى) كما واصل

دراسته على أيديهم .. وعلى مدى عامين كاملين حفظ (السيد) عشرات الموشحات والأدوار القديمة وسمع منات الأعمال ..

وكانت بلاد الشام فى هذه الحقبة مقصد فنانين من مختلف بلاد الدولة العثمانية ، جاءوا جميعا إلى حيث وجدوا

العاصمة الفنية .. فكانت هناك الخبرات التركية والفارسية والعربية تجتمع معا وتتجاوز حوار الفن الجميل الراقى .

وسط هذا المناخ الفنى الرائع عاش (السيد درويش) عامين كاملين يستمع ويحفظ ويقارن ويختزن ..

عامين كاملين كانا فرصة عظيمة لهذا الفنان الذى كان قد أتم أعوام عمره العشرين .. وهى سن تؤهله للاختيار الحكيم

والى هضم ما يسمع واختزان ما يراه متميزا وفريدا .

لقد تحمس (سليم وأمين عطا الله) (للسيد درويش) وأمنا بعقريته وأصرا على أن يمنحاه فرصه أخرى .

وكان الفنان الشاب على قدر المسئولية وأثبت وجوده الفنى وازدادت ثقته بنفسه وبفنه فكان يحيى الليالى ويغنى الأدوار

والتواشيح ويحظى بإعجاب سامعيه .

مقاهي الفن

في عام ١٩١٤ عاد (السيد درويش) إلى الإسكندرية بعد غياب عامين كاملين .. عاد إلى وطنه وأسرته وأهله .. وعاد إلى فنه وطموحه .

لم يكن أمام (السيد درويش) إلا المقاهي .. نعم فالمقاهي في هذا العصر كانت هي (المشارب) و (المسارح) والمنتديات .. في وقت واحد ..

فكانت مكاتنا للقاء الرفاق والأصدقاء وتناول المشروبات وربما بعض الأطعمة الخفيفة وكانت في نفس الوقت مسارح متفاوتة الدرجات يحدد المطربون مستوياتها فبعض هذه المقاهي مسفه منحدره في مستواها يغنى بها مطربون هابطون ويرتادها رواد من نفس المستوى .. بينما هناك مقاهي أخرى يرتادها مجموعة مختارة من عشاق الفن ومحبي الموسيقى وكانت هذه المقاهي تعتمد على مطرب متميز وتخت له قيمة فنية ..

كان في القاهرة مقهى (ألف ليله وليله) ومقهى (الالدرادو) و (نزهة النفوس) وكان في الإسكندرية مقهى (شيبان) و (إلياس) و (المنصور) وكان يرتاد هذه المقاهي في العاصمتين المطربون (داود حسنى) و (عبد الحى حلمى) و (السيد الصفتى) والمطربات (اللاوندية) و (أسما الكمسارية) و (السيدة السويسيه) .. وهؤلاء هم أشهر وأهم فناني مصر في هذا العصر .. وكانت ليالى غنائهم مناسبات مشهودة حيث تقام السراقات الضخمة حول المقاهي ويجتمع الرواد مبكرين للفوز بالمقاعد المتقدمة .

.....
.....

لم يكن أمام (السيد درويش) إلا تقديم فنه في هذه المقاهي فهي فرصته الوحيدة كى يتعرف عليه الجمهور ..

وماذا كان هو صانع في غياب وسائل الإعلام الحديثة مثل الراديو والمسجل والتليفزيون لم يكن أمام هذا الفنان إلا أن يقدم نفسه (للسميعة) من خلال المقاهي ..

وذاع صيت الفنان السكندرى الشاب وتنافست المقاهي عليه كى يحيى لياليها وأقامت له سرادقات خاصة لهذا الغرض .. كانت هذه هي فرصة (السيد درويش) الوحيدة كى يقدم نفسه لجمهور سامعيه كموسيقى مبدع ومطرب صاحب مدرسة .. بل ومولف لبعض الأغاني والأزجال ..

نعم ... كانت أغلب محاولات (الشيخ السيد) السابقة مجرد تقليد للآخرين لكنه اليوم يقدم لهم (الدور) و (الموشح) و (الطقطوقة) .. وأصبح أكثر من ١٦ موشحا وعشرة أدوار و ٤٥ طقطوقة ..

كل هذا في مدة لا تتعدى ثلاث سنوات قضاها (السيد درويش) في الإسكندرية ..

لكن حلما آخر كان يملأ عليه فكره ... حلما أكبر .. أوسع .. أعظم .. حلما بأن يسافر بفنه إلى العاصمة .. إلى القاهرة .

من الشعب وإلى الشعب

أصبح (السيد درويش) نجما ساطعا فى سماء الفن بالإسكندرية . . . وكانت لياليه الفنية من الليالي المشهودة فى المدينة التى كانت تسهر معه وتشجعه وتحببه . . . أما أصحاب المقاهي فكانوا يتنافسون على الفوز بإحدى حفلاته ترويجا لأماكنهم . . .

ومن القاهرة جاء عديد من الفنانين ومحبي الفن كى يستمعوا إلى هذا الفنان الجديد الذى ملأت أخباره (بر مصر كله) بكل طبقاته وفناته .

وهذا هو الجديد فى فن (السيد درويش) . . . فقد كان السابقون له من الفنانين يركزون فى اختيار الكلمات والألحان على ما يعجب الصفاة من المستمعين وكان هؤلاء من رواد الصالونات والمحال الراقية .

أما (السيد درويش) فقد جاء بشيء مختلف شيء مختلف فى كلماته وألحانه . . . فن بسيط سهل لا تشعر معه بالغرابة ولا بالكلفة . . .

جاء فنه من الناس . . . فدخل قلوب الناس فهل نقف قليلا عند بعض أسماء الأغاني التى غناها (السيد درويش) فى الإسكندرية لنذكر مدى التلقائية الصادقة عند هذا الفنان الأصيل . . .

(يافواذى ليه بتعشق) (فى شرع مين) (أنا هويت وانتبهت) (بطلوا ده واسمعوا ده) (يالذيذ يا أخضر) (يالابيس ع السترة النجمة) (يابلح زغلول) (زرونى كل سنه مرة) (خفيف الروح بيتعجب) (أهو ده اللى صار) (يابو الشريط احمر) (بلادى بلادى) .

لقد أختار (السيد درويش) جملا نستعملها كل يوم فى حياتنا اليومية . . . بيوتنا وفى الأسواق وتبادلها فى كل المناسبات . . . من منا لم يقل يوما لشخص يحدثه (فى شرع مين ؟؟؟) ومن هنا لم يقل (بطلوا ده واسمعوا ده) أنها عبقريّة أصيلة . . . فها هو (السيد درويش) يكتب كلمات معظم أغانيه فى هذه الفترة ثم يلحنها ألحانا يستقيها من أفواه الناس ثم يغنيها هو وغيره من المطربين . . . وتنتشر هذه الأغاني وسط الناس . . . يغنيها العامة فى الأسواق كما يغنيها الخاصة . . . يغنيها الصغار فى لهوهم كما يرددونها الكبار . . . وفى كل المدن يطلب الجمهور من المطربين . . . أدوار وطقاطيق (الشيخ السيد درويش) .

زرونى كل سنة مرة

كانت صالة (مقهى الحميدية) تكتظ بالمرتادين الذين وفدوا مبكرين ليظفروا بمقعد متقدم يمكنهم من سماع (السيد درويش) فى هذه الساعة تصادف أن مر بالمكان الفنان (جورج أبيض) . . . وتعجب من هذا الحشد ودفعه فضوله الفنى للجلوس والمشاركة فى سماع هذا المطرب الذى تتحدث عنه الإسكندرية كلها . . .

وبدا (السيد درويش) الغناء ومن خلفه (التخت) . . . كان الفنان يحتضن عوده بينما جلس خلفه ضابط الإيقاع وعود آخر وعازف للكمان واثنين من (الكورس)

وانطلق البلبل يشدو . . . زرونى كل سنة مره . . . حرام تنسونى بالمره . . . يا خوفى والهوى نظره تروح وتغيب بالمره . . . حبيبى فرقتك مره . . . حرام تنسونى بالمره . . .

ويتصايح الجمهور مشجعا . . . وتلتهب الأكف المصفقة ويطلب الجمهور الإعادة . . . بينما يبتسم (السيد درويش) فى حياء ويخفض جبهته بين الحين والحين تحيه وشكرا لجمهوره . . .

وأدرك (جورج أبيض) بحاسة الفنان جمال اللحن وحلاوة الكلام . . . وبعد الحفل التقى (بالسيد درويش) وطلب منه أن يتولى تحفيظ هذا اللحن للفنان (حامد مرسى) . . .

وهو المطرب الذى كان يغنى بين فصول الروايات التى يقدمها مسرح (جورج أبيض)

وفى العرض الثانى لمسرحية (لويس الحادى عشر) التى كانت تقدمها فرقه (جورج أبيض) على مسرح (الهمبرا) وقف (حامد مرسى) بين الفصلين الأولى والثانى وانطلق بحنجرته القوية يغنى (زرونى كل سنة مرة . . . زرونى . . . حرام تنسونى بالمره) . . . ويستقبل الجمهور الغناء بإعجاب ربما يفوق استقباله للنص المسرحى . . .

هنا يتوقف (جورج أبيض) متأملا الموقف . . . فلا بد من وقفة دراسة . . . ها هو الجمهور يستقبل الموسيقى والغناء بحفاوة تفوق ما يستقبل به النص المسرحى . . .

ويسعى (جورج أبيض) مرة اخرى للقاء (السيد درويش) ويقنعه بأهمية سفره إلى القاهرة والاشتراك معه فى عمل مسرحى غنائى . . .

كان الحوار بين (درويش) و (أبيض) حوار طويل . . . فقد كان (درويش) يتهيب أن يذهب الى هذه المدينة الكبيرة التى لا يعرف احدا فيها . . . بينما كان (أبيض) يرى أن القاهرة هى التى تكتب شهادة الميلاد الفنية لائى فنان . . . وأنها هى التى ستعطيه الفرصة الحقيقية . . .

ويضاغف (أبيض) فى إغرائه . . . ويقترب (درويش) من الموافقة ويعدده (أبيض) بأن يعهد إليه بتلحين المسرحية الغنائية التى ينوى تقديمها فى الموسم الجديد . . .

الإسكندرية ... القاهرة

كان تفكيره عميقاً .. وأخذ وعطاء مع النفس ومع الآخرين قبل أن يجمع (السيد درويش) متاعه القليل ويستقل القطار من محطة (سيدي جابر) متجهاً إلى القاهرة .

عندما استقبل (السيد درويش) هواء القاهرة ألقى على نفسه عدة أسئلة .. كيف ستمضي الحياة هنا يا سيد ؟؟؟ كيف يستقبل أهلها فنك ؟؟ كيف سيلقائك زملاء فنك ؟؟ وراحت خطوات (السيد) تتتابع في طريق كان يشعر في قرارة نفسه أنه طريق نهايته النجاح ..

لقد ألح عليه عدد كبير من زملائه الفنانين كي يسافر إلى القاهرة وصوروا له الجو الفني على أنه المناخ المناسب لنمو موهبته وانتشار فنه .. لكنه الآن يشعر بالرهبة .. رهبة الجديد .. والمجهول .

كان هذا في عام ١٩١٧ عام انتهاء الحرب .

وهاهي الحياة تستقر بعد طول قلق وخوف وهلع ونقص في المون .. ها هي طبقة جديدة من التجار والصناع تنتعش في ظل هذا الجو .. وهاهم يملكون الأموال ويبحثون عن المتعة والفن والمرح .. كانت هذه هي فرصة ظهور العديد من الفرق الفنية التي انتشرت في القاهرة واشتغل بينها التنافس الفني .. فكانت (فرقة الريحاني) و (فرقة منيرة المهديّة) و (فرقة أمين صدقي) و (فرقة الكسار) و (فرقة أولاد عكاشة) إلى جانب فرقة جورج ابيض التي كانت تقدم مسرحاً تراجيدياً .

كانت هذه الفرق تقدم مسرحاً غنائياً (خفيفاً) قائماً على الدراما البسيطة وسط مجموعة من الأغاني والرقصات ..

وكانت المعالجة الموسيقية لهذه الأعمال معالجة تقليدية تعتمد على التطريب وعلى استعراض الإمكانات الفنية للآلات ولحجرة المغنى دون محاولة التوظيف الموسيقي توظيفاً درامياً يخدم النص المكتوب .

الفنان مع الفنان

لم يكن الطريق في القاهرة ممهداً لاستقبال (السيد درويش) الذي جاء بلون جديد من الموسيقى . . . جاء بفكر جديد وإحساس مختلف لم يعتد عليه السامعون . . . بل ولا أغلب الفنانين وكان من الضروري أن تمر فترة من الزمن يآلف فيها الناس هذا الجديد المختلف .

ولم يكن في وسع (السيد درويش) أن يعيش دون عمل في هذه المدينة الكبيرة التي لم يكن أحد قد اعترف به فيها .

فألى من يلجأ في هذه الظروف القاسية ؟؟؟ . .

لم يكن أمامه إلا الفنان القدير . . . والأستاذ الذي طالما شجعه وأعجب به .

توجه (السيد درويش) إلى الفنان (سلامة حجازي) يحمل عوده في يمينه ومعه أحنائه وبعض من أماله . . . وفي يسراه حمل همومه وفقره وشيناً من يأسه .

ولأن الفنان هو أول من يستمع إلى زميله الفنان دون حاجة إلى حديث أو شكوى فقد أحس (سلامة حجازي) بحال (السيد درويش) . . . ولم يتردد . . . ولم يفكر كثيراً . . . فقد أدرك الفنان أن الفن هو سبب الألم . . . فليكن الفن هو العلاج . . . قرر (سلامة حجازي) أن يقيم حفلاً يخصص لإيراده كاملاً (للسيد درويش) . . . يا لها من شهامة . . . ويا لها من أخلاق فنية سامية . . . يا لها من أحاسيس مرهفة ومشاعر رقيقة . . . فماذا عن (السيد درويش) ماذا كان رد فعله وهو الجانع الضائع في هذه المدينة الكبيرة .

لقد رفض (السيد درويش) هذا العرض لما فيه من جرح لكبريائه . . . هل يقبل الفنان الحر (حسنه) حتى لو كانت من فنان كبير يقدره ويحترم فنه . . .

كان هذا أمراً صعباً على نفس (درويش) ورفض العرض الكريم ويعالج (سلامة حجازي) الموقف بذكاء الفنان ويطلب من (درويش) أن يقدم فاصلاً غنائياً بين فصول المسرحية .

وارتفع الستار عن فرقته (سلامة حجازي) تقدم الفصل الأول بين مسرحية (غانية الأندلس) . . . النص العربي الفصيح والأشعار القوية والموسيقى الصادحة وصوت (سلامة حجازي) الجهوري العذب الساحر وصاحب الرصيد الكبير في قلوب جمهور سامعيه وتلهب الأكف بالتصفيق تحية للفنان الكبير ويكرر (سلامة حجازي) المقاطع بناءً على رغبة جمهوره ويشتمل الحماس في صالة المسرح وعندما يسدل الستار . . . ويستمر التصفيق فيفتح الستار مرة أخرى . . . ويعاود الفنان تحية جمهوره . . . مظاهر حب وتقدير من الجمهور للفنان (سلامة حجازي) معجزة التلحين والغناء في عصره .

وكما هي العادة . . . تستمر الاستراحة بين الفصلين لأكثر من نصف ساعة يستريح فيها الفنانون وتتبدل الديكورات وكان من المألوف أن يصعد إلى المسرح أحد المطربين ليقيم فاصلاً غنائياً يقبل به الوقت فلا يشعر الجمهور بالملل .

في هذه الليلة سعد شاب أسمر نحيل إلى المسرح . . . ذكر مقدم الحفل أنه الفنان السكندري (السيد درويش) . . . احتضن (السيد درويش) عوده وراح يغني . . . (ضبعت مستقبل حياتي في الغرام) (وأنا هويت وانتهيت) (خفيف الروح بيتعجب) .

..... وأصيب الجمهور بالوجوم . . .

ما هذا الذي يقال بعد (سلامة حجازي) . . . ما هذا الكلام الغريب وهذه الألحان التي لم تألفها الأذان . . . ؟؟؟ . .

لقد ظلم الموقف الموسيقي (الناشئ) فصعده على المسرح بعد (سلامة حجازي) ظلم كبير له وهو ما زال في أول درجات سلم الشهرة بينما كان (سلامة حجازي) يتربع على القمة باقتدار وكفاءة . . .

وهو اليوم يقدم فناً جديداً على آذان المستمعين . . . فمن الصعب أن يرحبوا به . . . من الصعب أن يحقق (السيد درويش) نجاحاً في هذا اليوم .

فيروز شاه

لأن الفن الأصيل يجري في دم الفنان فإن اليأس كلمة لا تجد لها مكاناً في قاموس طموحه ورغبته في أن يحقق آماله وفي أن يقتنع الآخرين بفننه الجديد الذي يحملهم إليهم . . . إلى قهوة (البسفور) إحدى المقاهي الفنية الشهيرة في القاهرة اتجه (السيد درويش) يقيم فيها حفلاته الغنائية ويكسب لفنه في كل يوم جمهوراً جديداً . . . كما يكسب ما يعينه على الحياة . . . فقد كان يعول أسرة في الإسكندرية علاوة على نفقاته بالقاهرة . . .

كان (جورج أبيض) قد تعرف على (السيد درويش) في الإسكندرية كما أخذ أحد أبحاثه كي يغنيها (حامد مرسى) بين فصول مسرحياته . . . لكنه كان حتى هذا الوقت يقدم مسرحاً غير موسيقي .

في هذا الوقت قرر (جورج أبيض) أن يدخل هذه التجربة . . . تجربة المسرح الغنائي خاصة وأن هذا اللون كان منتشرأ في القاهرة . . . ولأنه كان مؤمناً (بالسيد درويش) فقد عهد إليه بتلحين أول تجاربه الغنائية (فيروز شاه) . . . وكان أجر (السيد درويش) على هذا العمل (عشرون جنيه) .

كانت هذه هي الفرصة الذهبية التي ينتظرها (السيد درويش) فها هو فنان كبير مرموق يطلب إليه تلحين عمل لفرقة . . .

ويعكف الموسيقي النابغة على هذا العمل ويضع فيه كل خبرته الفنية ويجسد فيه مدرسته الموسيقية وهي مدرسة التعبير . . .

قرأ (السيد درويش) العمل كله قراءة جيدة ومتفحصاً ثم فصل دور كل بطل من أبطالها . . . وعاش هذا الدور بمشاعره وظروفه ودرس حركة الممثلين على المسرح . . .

بعد هذا كان يمكن أن يضع لكل شخصية اللحن الذي يلانمها ولكل موقف إحساساً يناسبه ولكل حركة - فردية أو جماعية - إطاراً يمكن أن يتحرك فيه . . .

أما الأغنيات فقد عايش كل منها معاشة عميقة وأحس بكل لفظ فيها ثم ألبسه اللحن الذي كان يناسبه حتى أصبحت الموسيقى جزءاً من العمل . . . تضحك مع فرحته وتبكي مع أحزانه وتشتعل حماساً مع النص وترقص سعادة مع الأبطال . . .

سمع (جورج أبيض) العمل مكتملاً فشهد له بالعبقرية وكذلك الموسيقيون والفنانون . . . لقد رأوا عملاً فنياً جديداً سامياً . . . واستبشروا خيراً .

وقبل افتتاح الأوبريت (أوبريت فيروز شاه) امتلأت شوارع القاهرة بالإعلانات تشير إلى أن هذا العمل من تلحين الشاب العبقري والموسيقي السكندري (السيد درويش) ومثل أي فكرة جديدة . . . أو أي عمل مبتكر - مثل كل الأفكار الثائرة على التقليد كان مصير (فيروز شاه) الفشل . . . وكيف يتحقق هذا النجاح وقد اعتادت الأذان شيئاً آخر . . . كيف ولأن (السيد درويش) كان قد اعتاد (حياة النضال) فإن فشل تجربته الأولى لم يهزم في داخله روح الفنان . . . وصمم أن يستمر حتى يقتنع الجمهور بضرورة التغيير والتطوير لقد آمن (السيد درويش) بأن الشعوب لا تستسيغ الجديد في سهولة وأن عليه أن يستمر في طريقه الذي يؤمن به .

اللقاء

وسط عدد قليل من الجمهور الذي كان يشاهد أوبريت (فيروز شاه) جلس الشاعر (حسين شفيق المصري) مع الشاعر والزجال الأصيل (بديع خيري) .

لقد ألح الشاعر (حسين شفيق المصري) على صديقه أن يرى هذا العمل باعتباره عملاً جديداً وأن يتعرف على الموسيقى السكندري الذي قام بتلحينه . . .

ولم يكن (بديع خيري) متحمساً لمشاهدة هذا العرض فقد سمع من الآخرين أن أوبريت (فيروز شاه) عمل غير ناجح . . . فلماذا يضيع وقته في متابعته . . . لكنه لم يشأ أن يغضب صديقه فذهب إرضاءً له . . .

وما هي إلا دقائق قليلة من بدء العرض حتى اعتدل (بديع خيري) في جلسته وأرهف السمع لهذه الموسيقى الجديدة التي يسمعها على المسرح .

لقد تعود أن يسمع في العروض المسرحية الموسيقية أغاناً قديمة رتيبة ترتدي في كل مرة كلمات مختلفة . . . لكنه اليوم يستمتع لشيء آخر . . . وها هو (السيد درويش) يقف بنفسه على المسرح يشارك في الأداء ويراقب المجموعات والأفراد حتى لا يخرج أحد عن النص الموسيقي الذي كتبه . . .

وما إن انتهى الفصل الأول حتى هرع (بديع خيري) إلى خلف الكواليس يسأل عن (السيد درويش) ليهنئه .
- أنا (بديع خيري) .

- يا ألف أهلا وسهلا يا أستاذ بديع . . بالحضن وكانت مفاجأة حقيقية (لبديع خيرى) أن يعرفه (السيد درويش) وأن صداقة فنية عميقة كانت قد توطدت له في قلب الفنان السكندري منذ سنوات . . لكن الدهشة زالت عندما عرف السبب

.....
.....

لقد قرأ (السيد درويش) نصاً جميلاً (لبديع خيرى) في جريدة (السيف) بعنوان (مصر والسودان) . . فلمست كلماته أوتار قلب الفنان الموسيقار فنقل مشاعره إلى أوتار عوده وغنى

دنجا دنجا دنجا	دنجا دنجا دنجا
كلماية في متلايه	جالت لي أم أهد
لكن مفتاهه معايا	سرجو الصنوق يا مهمد
	الفه يا شنجه كريكري

وهي أغنية باللهجة السودانية تترجم طبيعة الوحدة بين شعبي وادي النيل في مصر والسودان ونعبر عن مدى الروابط بينهما رغم محاولات الاستعمار المستمرة للتفريق بينهما .

كان اللقاء بين (بديع خيرى) و (السيد درويش) لقاءً حاراً . . فها هي الرابطة الفنية تربط بين الفنانين على البعد وها هي المشاعر الوطنية تجمعها دون لقاء . .

وعلى العود غنى (السيد درويش) دنجا دنجا أمام صديقه الجديد القديم (بديع خيرى) الذي شاركه الغناء مع مجموعة من الحاضرين الذين تجاوبوا مع اللحن . . و(بديع خيرى) يتعجب كيف وصلت أحاسيسه بهذا الصدق إلى (السيد درويش) لقد قرأ (درويش) منات القطع الشعرية والزجالية في الصحف والمجلات لكنه لم يشعر بهذا (الانسجام) بين النص المكتوب والموسيقى الداخلية . . كما شعر به في هذه المقطوعة فلحنها وغنتها معه جموع السكندريين الذين ردوها في المناسبات الوطنية . . فقد كانت هذه الأغنية هي أول عمل فني يصور مشاعر الشعب المصري والسوداني المعبرة عن رغبتهما في الوحدة . .

وبانتهاء عرض اوبريت (فيروز شاه) الذي قدمته فرقة (جورج أبيض) في هذه الليلة كانت صداقة وطيدة قد بدأت بين (السيد درويش) و(بديع خيرى) . . صداقة إنسانية جميلة وصداقة فنية أثمرت عشرات الأعمال التي ما زال المصريون يتغنون بها حتى اليوم .

المحلوة دى

الحلوة دى قامت تعجن فى البدرية
والديك بيدن كو كو فى الفجرية
يا للا بنا على باب الله يا صنايعية
يجعل صباحك صباح الخير يا اسطى عطية

طلع النهار فتاح يا عليــــــــــــــــم
مين فى اليومين دول شاف تلطيم
والجيب مافهــــــــــــــــش ولا مليم
ذى الصــــــــــــــــنايعية المساكين
والصبر امره طــــــــــــــــال
وايــــــــــــــــش بعد وقف الحال
برضه الفقيرــــــــــــــــر له رب كريم
ياللى معــــــــــــــــاك المال

اولا أوروبا ما بينا موشــــــــــــــــى
لا فترجى دايمــــــــــــــــا حلق حوش
عن الصــــــــــــــــنايع مايو نوش
والمصرى جانبــــــــــــــــة يطلعــــــــــــــــع بوش
والهم جابر عــــــــــــــــلينا
يا اغنيا له ما تــــــــــــــــسعدوش
يا ما شكينا وبكينا
سبع صنايع فى أدينا

ما تشد حيلك يا بو صلاح
خللى تكالك ع الفــــــــــــــــتاح
واضربها صرمة تعيش مرتاح
يا الله بنا الســــــــــــــــوقت اهو راح
والشمس طلعت
ما تشيل قــــــــــــــــدومك
والملك الله
يا الله بنا الســــــــــــــــوقت اهو راح

لا شك أن الكثير قد رددوا هذه الأغنية فى رحلاتهم . فكل المصريين يعرفون هذه الأغنية ويحبونها حتى إن المطربة اللبنانية الشهيرة فيروز غنتها بتوزيع موسيقى جديد للرحبانية .

هذه الأغنية واحدة من الأغنيات التى ألفها (بديع خيرى) ولحنها (السيد درويش) الذى بدأ معه رحلة فنية فى القاهرة منذ التقيا فى أثناء عرض مسرحية (فيروز شاه) فهل نقف فى البداية عند معاني هذه الأغنية الجميلة ؟؟؟

يرسم المؤلف فى المقطع الأول صورة لمجموعة من المصريين وقد استيقظوا مبكرين . المرأة قامت لأعمالها المنزلية . فهى تعد العجين مكبره لتعطيه فرصة الاختمار قبل أن تخبزه لاسرتها .

أما الناس فقد هموا بالخروج . تبادلون تحية الصباح معتمدين على الله يتوجهون إليه بالشكوى من الإفلاس (والجيب ما فيهبش ولا مليم) كما يشكون من أصحاب رؤوس المال الذين لا يؤدون حق مالهم للفقراء (ياللى معاك المال برضه الفقير له رب كريم) ثم يتأمل هؤلاء العمال حالهم .

وكيف أن الصناعة الأوروبية تروج فى مصر لان الأغنياء يشجعونها . وهم يطالبون هؤلاء الأغنياء بمساعدة المصري (الأفرنجى دايمــــــــــــــــا حلق حوش والمصري جانبه يطلعــــــــــــــــع بوش . سبع صنايع فى أدينا . والهم جابر علينا)

وفى المقطع الأخير يتبادل هؤلاء العمال كلمات التشجيع مؤكدين إيمانهم بالله رافضين الاستسلام داعين إلى مواصلة العمل(ما تشد حيلك يا أبو صلاح . اضربها صرمة تعيش مرتاح . خللى تكالك على الفــــــــــــــــتاح . يا الله بينا الوقت اهو راح . الشمس طلعت والملك الله . ما تشيل قدومك والعدة وياالله)

لقد التقى مؤلف مصري صميم مع موسيقى مصري صميم فكان ما قدماه للجمهور فنا مصريا صميما عاش عشرات السنين بين كل فئات الناس تردده في كل وقت وكل مناسبة . . . التقى هذان الفنانان - وغيرهما بطبيعة الحال - في وقت كانت الأمة المصرية فيه تستنهض همة أبنائها للعمل من اجل حرية الوطن واستقلاله بكل الوسائل السياسية والعسكرية والاقتصادية - وكان كلا الفنانين واعيا لمهمته . . . فعاشا وسط الناس يعبرون عن مشاكلهم و آلامهم وأفراحهم في نفس الوقت الذي لم يعتبرا فيه عن واقعهما الفني . . . فقد اخذ (بديع خيرى) الكلمات والصيغ البسيطة والصور الشعبية الصادقة من الناس والبسها (السيد درويش) ثوبا موسيقيا التقطه من أفواه الشعب في الأسواق والمزارع والمصانع فعبّر عن كل طوائف الشعب وفناته فخرجت الألحان المصرية الصميمة إلى آذان الشعب فأحبها وحفظها ورددتها ومازال يرددتها حتى الآن .

لقد ربطت الرسالة بين هذين الفنانين ووحدهما الكفاح الفني الواحد فأصبحا ثانيًا متكاملًا . . . وتركنا لنا تراثًا من أغاني الفئات والطوائف التي انقرض كثير منها بفعل التغيير الحضاري مثل السقانيين وسانقي الحناطير والجرسونات وبناعي الغرابيل وبناعي القلل الفتاوي والوارثين والحطابين والشباليين والمرابية والحمارين والتحفجية

ولم يقتصر (السيد درويش) تعاونه الفني على (بديع خيرى) وحده ولكنه تعاون مع (أمين صدقي) و(بيرم التونسي) وكل من هؤلاء عبقريّة نادرة في فن الكلمة وكان (السيد درويش) بالنسبة لهم صانعا ماهرا يحول ذهب كلماتهم إلى (حلى) تبهر السامعين . . . لقد أدى (السيد درويش) ومجموعة الشعراء الذين عملوا معه خدمة كبرى للفن الشعبي المصري . . . فقد سجلوا الجو العام للحياة اليومية في الأحياء الشعبية من خلال الأغاني والمفردات الموجودة في الحديث اليومي والملابس . . . هذا في وقت لم يكن هناك أي وسيلة سمعية أو بصرية يمكنها تسجيل هذا التراث . . . واستطاعوا دون عمد منهم أن يسجلوا العديد من الجمل والألفاظ التي بدأت تختفي من حياتنا رغم أنها تحمل شحنة كبيرة من الإحساس الشعبي الذي لم تكن نعرفه لولا هذا التراث العظيم الذي تركه لنا (السيد درويش) ورفاقه من الشعراء .

فقد أدخلتنا هذه الأعمال إلى حياة البسطاء بتفاصيلها ومفرداتها وعاداتها الخاصة جدا . . . صور حية ناطقة يمكن اعتبارها وثيقة تاريخية وان لم يقصد صنعوه ذلك . . .

واستطاعت هذه الأعمال إلى جانب هذا التعبير عن عديد من أشكال المعاناة الجماعية والوطنية التي كان يعاني منها المجتمع المصري مثل مشكلة الاحتكار فنجد في استعراض (الساقيين) يعبر عن شكوى هذه الفئة وعن تدميرها من استغلال الأجانب واحتكارهم لتوزيع المياه الصالحة للشرب داخل المساكن

ياكلوا الصنيه	اشمعى يعنى
من الكوبانيه وعلا وله	باوللو وينى
ياخدوا الماهيه	ويأخذوا الماهيه
وابن البلد دى	يطفح الدردي
ميتدلش يمكن ما يطولشى	يتعش طرشى
يعوض الله	يهون الله
يعوض الله	يعوض الله

وبالحس الوطنى المتيقظ والحس الفنى المرهف يتنبه شاعرنا (بديع خيرى) ومعه (السيد درويش) الى قضية الوجود الوطنيه فى مصر .. ذلك ان الاستعمار بدأ يحاول بث الفرقة مع صفوف الشعب المصرى بهدف تمزيق وحده كلمه الامه . فقال :-

فقسيا لعبته واتجمعنا	دخل بناتنا الى موقعنا
فى بعضنا وراح لك متصدر	ليروح شرفنا الله لايقدر

هكذا أدرك الفنان سيد درويش فى هذا الوقت الميكر أن شرف الأمة المصرية وأمنها ووحدتها مرهون بوحدته الوطنيه واتحاد عنصرية(المسلم و المسيحي) .. وترتفع دعوه (بديع خيرى) و(السيد درويش) إلى أغنياء البلاد كى يقدموا العون ومعهم الفئات العاملة على تأكيد استقلال مصر

امتى بقى نشوف قرش المصرى
يفضل فى بلده ولا يطلعشى
انتم بما لكم واحنا بروحنا
دى ايد لو حدها ماتسفقشى

إما استعراض الموظفين فقد صور فيه الشاعر (بديع خيرى) الشعور الوطنى العام عندما رفضت الحكومة الانجليزية التفاوض مع سعد ورفاقه ثم أوفدت إلى مصر (اللورد ملنر) للتفاوض مع المصريين فى مصر ... هنا

هب الشعب المصرى يعبر عن مقاطعته لهذه المفاوضات مؤكدا على أن سعد زغلول ورفاقه هم ممثلوا الشعب ..

وامتلات الشوارع بالمظاهرات التى شاركت فيها كل فئات الشعب وطوائفه وانقطع الموظفون عن أعمالهم عشرين يوما كاملة - اقتطعت من مرتباتهم بعد العودة إلى أعمالهم - أغلقت كافة المصانع والمتاجر وتوقفت الحياة تماما فى مصر احتجاجا على موقف الانجليز المراوغ والمتحدى للإدارة الوطنية المصرية .

وينفعل الفنان المصرى بموقف المصريين فيكتب (بديع خيرى) استعراض الموظفين ويلحنه (السيد درويش) لتغنييه مصر كلها وفيه يقول:

عشرين يوم راحوا علينا
بس المقصود
والدنيا تعود
ياما شفونا من الستات
والكناسين روخرين راسهم والف مقشه
لايكنسوا كنسه ولايرشوا رشه
والصنایعيه راحين جايبين صرف احسن ورشه
إن شالله ياخدوا عنا
يبقى لنا وجود
طلعم عملوا مظاهرات

ولم يقصر (السيد درويش) تعامله مع (بديع خيرى) وان كانا قدما معا شطرا كبيرا من إنتاج (السيد درويش) إلا أنه تعامل مع شعراء آخرين سجلوا مشاعرهم الوطنية والشعبية فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ مصر ومع الشاعر الكبير (أملىين صدقى) قدم (السيد درويش) مسرحية الانتخابات التى عبرت عن ضمير الإنسان المصرى وعن رغبته فى المشاركة النيابية فى حكم بلاده .. ومن أطرف الاستعراضات التى ضمتها هذه المسرحية استعراض بنات اليوم الذى نقول كلماته .

ده وقتك ده يومك
قومي اصحي من نومك
وطالبى بحقوقك
ليه ما تكونيشى زى الغريبيه
شطاره شاطرين
مين فى دردحتنا
يا بنت اليوم
بزياداتك نوم
واخلصي من اللوم
ونجاهد فى حياتنا بحريه
قداره قادرين
وخفتنا دى مين

معانا شهادات
وتعرف بولتيكه
ليه ما تكوشى يابيه
قوللنا هو زايد
ليه ما تكونيشى زى الغريبيه
شطاره شاطرين
مين فى دردحتنا
ودبلومات
بالسبع لغات
زى الرجاله ليه
عننا ايه
ونجاهد فى حياتنا بحريه
قداره قادرين
وخفتنا دى مين

ليه حوزى يتعب تمللى
اتعاون فى حياتى وحياته
اشمعنا فى اوروبيا الستات
احنا كمان لازم نفوقهم
ان كان فى محبه محبه بلادهم
ليه يشقى وأنا قاعده فى محلى
وتروق له العيشه وترق لى
لهم صوت فى الانتخابات
هنا فى بلادنا ونبقى فوقهم
أو فى تربيته اولادهم

بيرم التونسي

في إطار الحماس الوطني والاهتمام بالقضية الوطنية قدم (السيد درويش) أعمالاً عديدة لشعراء انفعلوا بالقضية ٠٠٠٠ ومن كلمات (بيرم التونسي) لحن (السيد درويش) لحن (إحنا الجنود)

نموت ولانعيش الوطن	إحنا الجنود زى الاسود
على العدا طول الزمن	بالروح نجود بالسيف نسود
والسيف أبونا وأمنا	الحروب ديننا وطبعنا
لعمرنا ٠٠٠ يمنا	نحفظ كرامه شعبنا
في عرفنا ٠٠٠ في سمعنا	صوت السلاح يوم الكفاح

حلو النغم
لازم نعيش طول عمرنا
في أرضنا أحرار
ورافعين العلم

أما أمير الشعر (أحمد شوقي) فقد رأى في (السيد درويش ٩ خير رسول يبلغ الكلمة الجميلة إلى الجمهور في إطار موسيقى مبتكر فيكتب نشيدا وطنيا جميلا تقول كلماته

فهيأ شيد والملك هيا	بني مصر مكا نكمو تهيا
الم تك تاج أو لكم مليا	خذوا شمس النهار له حليا
فليس وراءها للعز ركن	على الاخلاق خطو الملك وانبو
وكوثرها الذي يجرى شهيا	اليس لكم بوادي النيل عدن

نشيد بلادي

في مساء يوم ٢٢ أكتوبر عام ١٩٠٧ وقف الفتى (السيد درويش) ابن الخمسة عشر ربيعا وسط جمع من المواطنين يستمعون إلى الزعيم المصري الشباب (مصطفى كامل) الذي كان يخطب في مؤتمر شعبي (بكارينو زيزينيا) بالا سكندريه وأعجب مع غيره بهذا الحديث الوطني الرائع كما أعجب بصاحبه ذى الصوت القوى والأسلوب العذب والكلمات المؤثرة . . سمعه يطالب بضرورة أن تحصل مصر على استقلالها وبأن يكون للمصري الحق في المشاركة في حكم بلاده . . . سمعه يقول (بلادي بلادي . . لك حبي وفؤادي . . بلادي بلادي . . لك لبي وجناتي لك روحى ونفسى . . أنت أنت الحياة . . ولا حياة إلا بك يا مصر)

سمع (السيد درويش) هذه الكلمات كما سمعها منات غيره ممن حضروا هذا الاجتماع . . وحفرت الكلمات فى قلبه كما حفرت فى قلوبهم . . لكنه الوحيد من بين هؤلاء الذى تمنى أن يغنيها . .

وفى جلسته جمعت بينه وبين الشاعر (يونس القاضي) والأديب (مجد الدين حنفي ناصف)
خرج نشيد وطنى جميل . . احتفظ بكلمات الزعيم مصطفى كامل (مذهبا) أو مطالعا له
بلادي بلادي لك حبي وفؤادي
مصر ياست البلاد انت غايتي والمراد
وعلى كل العباد كم لنيلك من ابادى

مصر يارض النعيم سدت بالمجد القديم
مقصدى دفع الغريم وعلى الله اعتمادي

مصر أولادك كرام أوفيا يرعوا الزمام
سوف تحظى بالمرام باتحادهم واتحادى

مصر انت أغلى دره فوق جيبين الدهر غره
يابلادى عيشى حره وأسعدى رغم الاعادى

من أجل هذه الكلمات الوطنية وضع (السيد درويش) لحننا جميلا عاش مايزيد عن تسعين عاما وغنته أجيال وأجيال

تم استبدال كلمه (ست) بكلمه (ام) عندما اختير النشيد سلاما وطنياً لمصر

ومنذ يوم ٣١ / مارس / ١٩٧٩ أعتبر نشيد (بلادي) سلاما وطنيا لمصر . . . وأصبحنا نسمع موسيقاه فى الاستقبالات الرسمية وقبل بدء الاحتفالات العامة وقبل بدء الإرسال التلفزيوني والإذاعي وفي نهايته .

وصاحب هذا النشيد الجميل الحركة الوطنية فى كل مراحلها وكان نشيد للمقاتلين و المناضلين عبر كل هذه السنين لما فيه من صدق وحرارة فى الكلمات واللحن .

لقد شعر (السيد درويش) بمدى ما تحمله كلمات مصطفى كامل من شحنة وطنية . . . والوطنية شئ يختلف عن الحماسية . . . فالوطنية احساس دائم من الإنسان لوطنه بينما تتغير الانفعالات الحماسية الطارئة بتغير القضايا والموافقة لقد استوقف (السيد درويش) هذا الإحساس الوطني فى كلمات مصطفى كامل . . . فنما فى قلبه الفنان وقدم منة العمل الذي عاش ويعيش فى قلب كل إنسان مصري . . .

كلمات نشيد بلادي هو أول عمل وطني (للسيد درويش) لكنة لم يكن العمل الاخير فقد عاش هذا الفنان محنة بلادة التي كانت ترضح تحت شعار الاستعمار الانجليزي منذ عام ١٨٨٢ . فشارك بفته في حركة الجهاد الوطني من اجل الاستقلال وتجاوب مع الشعور العام الذي كان يحسه الشعب بكل فئاته وطوائفه وها شئ طبيعي في ظل الثورة التي عمت البلاد والتي شارك فيها الكتاب والخطباء والسياسيون والحزبيون وكان طبيعيا أن يكون الموسيقار ابن مصر . صوتا للمصريين .

أما آخر عمل وطني قدمه (السيد درويش) فكان أنشودة (سعد زغلول) التي كتبها ولحنها تحية للزعيم العظيم يوم عودته للوطن عام ١٩٢٣ .

وسافر الفنان إلى الإسكندرية وقام بنفسه بتدريب المنشدين والعازفين استعدادا للحفل الذي كان مقررا أن يشارك فيه بالغناء وقيادة مجموعة المنشدين .

إلا أن قضاء الله كان أسرع فقد توفي (السيد درويش) قبل أن يصل (سعد زغلول) إلى مصر بيومين فقط .

وفي يوم ١٩ سبتمبر ١٩٢٣ ارتفعت أصوات المنشدين بالغناء تحية للزعيم العائد من الخارج منتصرا

وكانت كلمات النشيد تقول

مصرنا ووطننا سعدها أملنا
أجمعت قلوبنا هلالنا وصليبا
كلنا جميعا للوطن ضحية
أن تعيش مصر عيشة هنية

عزك حياتنا
يا مصر بعدك
لولا اعتقدنا
كنا عبدنا
ذلك مماتنا
مالناش سعادة
بوجود إلهنا
النيل عبادة

حبك كفاية
كل مزايا
مهما آسينا
موت المجاهد
مالوش نهاية
من فضل ربي
مفروض علينا
من غير ذنب

مصر ووطننا

روحنا فداك
ربك معاك
وباتحدنا
مالناش سواك
في كل ساعة
نبلغ مرادنا

مصر ووطننا

إحنا وغابتنا
أحرار خلقنا
يا عيشنا سعدا
لنحيا إمة
ترفع رايتنا
نابي المذلة
يا متنا شهدا
مستقلة

وما بين (بلادي) أنشودة (مصطفى كامل) و (مصرنا وطننا) أنشودة (مصطفى كامل) غنى (السيد درويش) ولحن عشرات الأغنيات الوطنية التي قدمها منفردة أو داخل مسرحياته الغنائية ٠٠٠٠ من أشهرها (قوم يا مصري مصر دايماً بتناديك) و (أنا المصري كريم العنصرين) و (أهوده اللي صار) و (يا عزيز عيني) و (يا بلح زغول) و (سالمه يا سلامة) و (نشيد بني مصر مكاتمو تهبيا) و (أغنية مصر و السودان) و (أحن الجنود) و (هز الهلال يا سيد) وغيرها كثير ٠٠٠٠٠

لقد عاش (السيد درويش) أحلام المصريين وأمالهم وعاش أفراسهم وإحزانهم فعبّر عن عواطفهم وألامهم بصدق وأمانة مدهشين ٠٠٠ فهو لم يخلع عن نفسه ثوب المصري السكندري ابن كوم الدكة حتى يوم وفاته يوم ١٥ سبتمبر ١٩٢٣ ومن المؤسف أن وفاة (السيد درويش) المفاجئة بالإسكندرية لم تسمح للمصريين بوداعة الوداع المناسب ٠٠٠ فقد شيع في جنازة بسيطة حيث دفن في نفس المدينة التي ولد بها وأحبها وأحب أهلها جاء (السيد درويش البحر) إلي الحيلة في هدوء ٠٠٠ وغادرها في هدوء ٠٠٠ لكن ما بين اليومين كانت حياة صاحبة مزدحمة بالعبء والغناء والكفاح والنجاح ٠٠٠٠٠

الرائد المجدد

استطاع (السيد درويش) أن يتجاوز ما كان قائما في عالم الموسيقى العربية في زمانه .. فلم يعد صد الحبيب وكيد العزول فقط هو محور اهتمامه بل أدرك فسي الحياة أنغام موسيقية كثيرة غير هذا .. أنغام الناس في الأسواق .. لكل بائع لحن .. وأنغام الطوائف كل في مجاله .. كما أدرك أن في حياة البشر قضايا أخرى كثيرة غير قضايا (الهوى) و (الغرام) .. أدرك أن القضية الوطنية تحتل في وجدان الناس مساحة كبيرة عليه أن يتحرك فيها معبرا عن أحاسيس الإنسان المصري المطالب بحريته واستقلاله ..

كتب (السيد درويش) كلمات العديد من أغنياته وأناشيده .. كتبها دون افتعال أو معاناة لأنه يأخذ الكلمات من أفواه الناس ثم يلبسها ما يناسبها من لحن دون أن يكون هناك اغتراب بين الكلمة واللحن ..

التكريم

أحب (السيد درويش) وطنه مصر ... فأحبه المصريون ورددوا ألقانه بحب شديد لم يحدث كثيرا مع فنان غيره لهذا استحق لقب فنان الشعب .

انتشرت ألقان (السيد درويش) بين المصريين في وقت لم تعرف فيه وسائل الإعلام واسعة الانتشار بل تناقلتها الأفواه والأذان ووعتها القلوب والعقول في نفس الوقت حفظ كل الفنانين المعاصرين (للسيد درويش) جميع أعماله ورددوها في الحفلات الخاصة والعامة ..

ولم يعرف هذا الجيل إلا وسيلة واحدة من وسائل التوثيق هي (الاسطوانات) التي كانت تعمل من خلال (الفونوغراف) وظفرت أغلب أعمال (السيد درويش) بالتسجيل بصوته وأصوات غيره من المطربين من أمثال (منيرة المهدية) و (فتحية أحمد) و (حياة صبري) و (زكى مراد) و (نعيمة المصرية) و (والست تودد) و (نسيم نسيم) و (لورد كاش) .

وكان لابد لهذا التراث من الحفظ والتوثيق ... وهذا ما قدمه الدارسون والمؤسسات العلمية الموسيقية لتراث الفنان العظيم ..

وعلى المستوى الشعبي تأسست في عام ١٩٤٧ جمعية أهلية باسم (جمعية أصدقاء موسيقى السيد درويش) ضمت مجموعة من الفنانين والأدباء والهواة .

وفي عام ١٩٥٨ صدر أول طابع بريد حمل صورة فنان الشعب كما أطلق اسمه على شارعين في القاهرة والإسكندرية وعلى مسرحين في المدينتين ..

وأثناء السهرات الجميلة التي تقيمها الفرق المختلفة للموسيقى العربية يستمتع الحاضرون لأغاني (السيد درويش) ويطربون لموسيقاها وكلماتها وكثيرا ما يطلبون إعادتها إعجابا بها وحبا لها .. لقد قدرت مصر فنائها الرائد في أكثر من مناسبة وبأكثر من صورة عرفنا منها بدوره الرائد ويعطانه المتجدد .

ماذا تعرف عن الإدارة المركزية للطلّاع الشباب؟

تعمل الإدارة المركزية للطلّاع بوزارة الشباب على مواكبة السياسة العامة للدولة بتوجيه الإهتمام للنشء، والطلّاع باعتبارهم أبناء الحاضر ورجال المستقبل وأهل مصر المشرق. وذلك من خلال توسيع قاعدة الممارسين من الطلائع لأنشطة المختلفة الثقافية، الرياضية، الفنية، البيئية والتي يتم تنفيذها بمراكز الشباب المنتشرة بالمدن والقرى والنجوم بمختلف محافظات الجمهورية والإحتفاد المبكر للموهوبين في هذه الأنشطة ورعايتهم وإشراك المميزين منهم في الإحتفالات والمناسبات القومية وتمثيل مصر في المحافل العربية والدولية.

هذا بالإضافة إلى التعاون مع عدد من الوزارات والمؤسسات والجمعيات الأهلية المعنية بالطفولة ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والبرنية، وتسهّل إلى دعم فئات المجتمع من النشء، والطلّاع مع أقرانهم من ذوي الإحتياجات الخاصة من أجل دعم العلاقات الأخوية بينهم لنخلق مجتمع متماسك ومتراحم

ولمزيد من المعلومات يمكن زيارة موقع طلائع مصر على شبكة الإنترنت وهو www.pioneersegypt.com

الإصدارات القادمة

